

سُورَةُ يُوسُف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرْجِعُوهُ إِلَيْنَا أَيْكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبَنَكَ سَرَقَ وَمَا
شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عِلِّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ٨١

عودة إخوة سيدنا يوسف إلى أبيهم وبقاء بنiamين في مصر

(012) سورة يوسف

الدرس الثالث عشر: شرح الآيات 81 - 87

2021-09-04

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلح وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

إغفال القرآن الكريم التفاصيل في القصص القرآنية:

وبعد: مع اللقاء الثالث عشر من لقاءات سورة يوسف، ومع الآية الواحدة والثمانين من السورة وهي قوله تعالى:

أَرْجِعُوهُ إِلَيْنَا أَيْكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبَنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عِلِّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81)

[سورة يوسف]



القرآن الكريم يغفل في القصة كثيراً من التفاصيل

الآن هذا الرجل الأكبر في إخوته، كبارهم، ويقال إن اسمه شمعون كما في التاريخ والله أعلم، وقلت سابقاً: إن القرآن الكريم يغفل ذكر الأسماء، أصحاب الكهف ما أسماؤهم؟ لا نعلم، إخوة يوسف ما أسماؤهم؟ لا نعلم، القرآن الكريم يغفل في القصة كثيراً من التفاصيل إلا ما يخدم القصة، إغفاله للتفاصيل: تفاصيل الأسماء، والأمكنة المحددة، والأزمنة المحددة لسبعين، السبب الأول في القصص القرآني حتى لا ينشغل الإنسان بالتفاصيل ويترك العبرة، وفي القصص غير القرآني يغفر بالتفاصيل، تقرأ رواية من أربعينية أو خمسينية صفة الحدث كله يأخذ عشر صفحات، يغرق بالتفاصيل وبالوصف لأن غايته الإيمان الأدبي، وغايته أن يسليك، تأخذ وقتاً في القراءة، القصص القرآني عنصر الإيمان موجود، الإنسان فيما يقرأ سورة يوسف يستمتع بهذه القصة وينفذ بها، لكن ليس الهدف الرئيس من القصص القرآني تحقيق الإيمان، وإنما تحقيق الهدى، وتحقيق الدلالة والهداية إلى الله، وتحقيق العبرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصْصِهِمْ عِنْدُهُ >إِلَوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِي وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ< (111)

[سورة يوسف]

فالقصص من أجل العبرة لا من أجل الإيمان، فإذا كثرت التفاصيل خرجت القصص عن الهدف الذي جاءت به، وانشغل الناس بالتفاصيل، هذا السبب الأول.



أراد الله للقصة أن تكون قانوناً إلى يوم القيمة السبب الثاني في أن القرآن الكريم يغفل التفاصيل في القصة أن الناس عندما يقرؤون القصص بتفاصيلها يخيل إليهم بعقولهم الباطل من غير أن يشعروا أن هذه القصة وقعت وانتهت ولن تعود، وكأنها تعنى أفرادها فقط، أي ربنا يتكلم عن هؤلاء الناس ولا يتكلّم عنا نحن، فالقصص لا تستمر كفافون إلى يوم القيمة، لكن الله عز وجل أرادها أن تكون قانوناً إلى يوم القيمة، أي بكل عصر وكل مصر يمكن أن يقع إنسان في امتحان السجن، ويمكن أن يقع آخر بامتحان الجب، ويمكن أن يقع ثالث في كيد الأخوة، ويمكن أن يقع رابع في مكر امرأة العزيز، أو امرأة قوية تدعوه للمعصية.

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سَبَعَةٌ يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظَلَّهُ يَوْمَ لَا ظَلَّ إِلَّا طَلَّهُ: الإمام العادل، وشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ، إِذَا خَرَجَ مِنْهُ يَعُودُ إِلَيْهِ، وَرَجُلٌ تَحَاجَّ فِي اللَّهِ اجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَ عَلَيْهِ، >وَرَجُلٌ دَعَنَهُ امْرَأَةٌ ذَاتٌ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ < - رب العالمين

- ورجل تصدق بصدقه فأخفها حتى لا تعلم شمالة ما تُفْعِلُ يمينه، ورجل ذكر الله حاليا ففاضت عيناه {
[أخرج البخاري ومسلم والترمذى والنسائى ومالك]

بكل مكان وزمان يمكن أن يتعرض مجموعة من الناس بعيون الله للضغوط وللأذى، ويفررون كما فعل أصحاب الكهف، فلو ذكرت أسماؤهم لتوهمنا من حيث لا نشعر أن القصة خاصة بمن حصلت معهم، لكن القرآن الكريم أراد أن تبقى قانونا إلى يوم القيمة، عندما قال ربنا عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَذَا اللُّؤْنِ إِذْ دَهَبَ مُعَاصِيَ قَطْنَ أَنْ لَنْ تَقْدِيرَ عَلَيْهِ
فَتَادَى فِي الظَّلَمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الطَّالِمِينَ (87)

[سورة الأنبياء]

يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجْبَنَا لَهُ وَتَجَيَّثَةٌ مِنَ الْقَمَ (88)

[سورة الأنبياء]

انتهت القصة، قال: **(وَكَذَلِكَ تُنْهِي الْمُؤْمِنِينَ)** إلى يوم القيمة، القصة قانون وليس أفراداً وأحداثاً وأزمنة وقعت وانتهت.

الله تعالى هو خالق الخير وخلق الشر تقديرًا:
هنا هذا الرجل كبيرهم قال: **(إِرْجِعُوهُ إِلَى أَيْكُمْ)** هو نوى لا يرجع إلى أبيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمَّا اسْتَبَّنُوا مِنْهُ حَلَصُوا تَحِيَّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَدَ عَلَيْكُمْ مَوْتَنَا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قُلْ مَا فَرَّطْنَمْ فِي يُوسُفَ (80)

[سورة يوسف]



الإنسان ينسب الشيء إلى ذاته

الأرض هنا مصر، سبقني في مصر، يعقوب كان في أرض كنعان قال: **(إِرْجِعُوهُ إِلَى أَيْكُمْ)** يعقوب **(تَা آتَانَا إِنَّ أَنْتَكَ سَرْقَ)** حقيقة، هذا الذي حصل معنا **(إِنَّ أَنْتَكَ سَرْقَ)** طبعاً لأن **(إِنَّ أَنْتَكَ سَرْقَ)** ما قالوا إن أخانا سرق، لأن الإنسان من طبيعته من غير أن يشعر عندما يريد أن يحصل شيئاً لذاته من حبه، أو من مصلحة، ينسب الشيء إلى ذاته، عندما يكون هناك شر ينتسب إلى غيره، حتى الناس للأسف يفعلون ذلك مع الله عز وجل، يفعلون ذلك مع الله، مع البشر عندما أرادوا في بداية القصة أن يأخذوا أحاجهم ليوقعوا به، ما أرادوا أن يوقعوا قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَيْمَهُمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَ الْكَيْلِ
فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْلٌ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63)

[سورة يوسف]

فلما توهموا أنه وقع في السرقة، ما قالوا إن أخانا سرق، قالوا: **(إِنَّ أَئْتَكُمْ سَرْقًا)** صار ابنه، بعد أن كان يوسف أخاهم، أخوهم يوسف أرادوا أخذه، وتحقيق مصلحة لهم بإبعاده عن أبيه، فالإنسان من غير أن يشعر بمنصب الخير لنفسه، وينسب الشر للناس، فإذا نجحت تجارتة يقول لك: هذا جهدي، وعرق جبيني، وكله بكتيري، وما لأحد فضل عليّ، لكن يوم يخسر في تجارتة يقول لك: أنا كنت أحسن تاجر لكن الظروف كانت صعبة، وكورونا لم تدع لأحد شيئاً، وأتي بك كل الأعذار والمبررات التي تبرئ ساحتة، هذه طبيعته، لكن الإنسان لا ينبغي أن يكون ذلك، المؤمن موضوعي، المؤمن ينسب من الخير ومن الشر لنفسه وينسب للآخرين من الخير ومن الشر بالمقدار الصحيح، فيقول لك: أنا أخطأت في كذا، وأصبت في كذا، الناس كيف يفعلون ذلك مع الله عز وجل؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمُؤْثِرُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدة>
وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ فُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَمَالَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَقْعُدُونَ حَدِيثاً (78)

[سورة النساء]

أي عندما تصيبهم السيئة: **(يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ)** لماذا رد عليهم الله؟ **(فُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** لماذا تنسرون السيئة لله وتنتسرون الحسنة لأنفسكم؟ ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ سَيِّئَةٍ قَمِنْ تَعْسِيكَ>
وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفِي بِاللَّهِ شَهِيداً (79)

[سورة النساء]

كيف تستوي الآيات؟ في الآية الأولى: **(فُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** الحسنة والسيئة، ثم قال فيما بعد: **(مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ سَيِّئَةٍ قَمِنْ تَعْسِيكَ** لأن السيئة في الأصل سببها الإنسان ثم تقع تقديرًا من الله، أما الحسنة فمن الله عز وجل بالسبب والنتيجة، مثلاً أصاب الإنسان سيئة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)

[سورة المائدة]



السيئة تبدأ من نفسك

فالسيئة تبدأ من نفسك عندما تحالف منهج الله تعالى، ثم تأتي عقوبة من الله والتقدير من الله (**فُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) تقديرًا، لأنه لا يقع شيء في الكون إلا بتقدير الله، لكن سبب السيئة من نفسك أنت، من خطأ ارتكبته.

مثلاً سيارة، مصنعة بأحدث تصنيع، وأحدث ماركة، وفيها كل متطلبات السلامة، وإنسان قادها بسرعة جنونية في طريق متعرج، فسقطت في الوادي، فتحطممت وأصبحت كتلة حديد،

فجاء شخص جاهل وقال: ما أسوأ هذه الشركة التي صنعت السيارة، فنقول له: هذه السيئة ليست من الشركة، هذه من السرعة الجنونية التي قدمت فيها السيارة.

(مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ) أي على الإنسان دائمًا أن ينسب السوء إلى ذاته، وبينما الإحسان إلى الله، لذلك عندما قال تعالى على لسان الجن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَآمَّا لَنَّدِرِي أَسْرُ أُرِيدَ يَقْنُونَ فِي الْأَرْضِ أُمُّ أَرَادَ يَهُمْ رَهُمْ رَسَدًا (10)

[سورة الجن]

ما قالوا: وأنا لا ندري أشر أراده الله بمن في الأرض، مع أن الله أراده، لكن قالوا(**أُرِيدَ**) حتى لا ينسدوا الشر إلى الله، لذلك في الدعاء النبوى: "والشر ليس إليك" أي لا تنسبه إلى الله، لكنه يقع بقدر من الله، فالله هو خالق الخير وخلق الشر تقديرًا فوقع ابتداء من الإنسان.

تأكيد أخوة يوسف دعواهم بمؤكدين لعل والدهم يصدقهم:

هنا: (**إِنَّ إِنْكَةَ سَرَقَ**) نسبوا السرقة إلى ابنه وليس إلى أخيهم (**وَقَاتَ شَهَدُتَا إِلَّا بِمَا عَلِمْتَا**) الشهود أن تشاهد، أن ترى عينك، وقالوا: لا تشهد إلا بما رأيت، أي الإنسان لا ينبغي أن يشهد إلا بما رأى، وهذا معنى قولنا في الصلاة وخارج الصلاة: أشهد أن لا إله إلا الله، وكأنك تشهد لله، وكأنك ترى وحدانيه رأي العين. لأن أبا العناهية قال: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.



الشهيد شهد شيئاً مختلفاً عن الناس

فأنت حينما تقول: لا تقل: أسمع أنه لا إله إلا الله، ولا تقل: أقول لا إله إلا الله، بل قل: أشهد أن لا إله إلا الله، تشهد له وفق ما رأيت من خلقه، فكل شيء يشهد له بالوحدانية كأنك ترى وحدانيه عينك، ولما سُئل أحد الشهداء الذين مرت ذكرى وفاتهم قبل أيام لما أعدم سائله القاضي: ما معنى شهيد؟ قال: الذي يشهد أنه لا يضره إلا الله، فانطلق واستشهاد في سبيل الله فالشهيد شهد شيئاً مختلفاً عن الناس.

(وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا) الشيء الذي حدث، لا ندري ما وراء ذلك، الآن كلام أحدهم منطقى إلى حد كبير (**وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا**) لا تفهم بالسرقة (**وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا**) لا تفهم بالسرقة (**وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا**) يوجد عندها شهود، وعندنا عجب، شهادة وغيب، والله تعالى عالم الغيب والشهادة هنا (**وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا**) هذا الشهود، (**وَمَا كُنَّا لِغَيْبٍ حَاطِطِينَ**) هذا للغيب الذي غاب عن أنظارنا، معنى الغيب أي غاب عنك، الشهود بشهادة بحوالى، لكن أحاجى صاحب الغيب في مرتبة الشهود، عندما يكون الغيب خيراً صادقاً من الله تعالى، لذلك تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، لأن الشهادة مع أن لا إله إلا الله، لأن الشهادة مع أن لا إله إلا الله غيب في معانينا، لكن كل شيء يشهد له فاصبح أهم من الشهادة بالحواس، فهنا لما قال: (**وَمَا شَهَدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا**) هذا حواس، نحن كنا في الليل، ورأينا بأعيننا الصواع يستخرج من رجل آخرنا، والناس كلهم قالوا: بنiamin سرق، سمعنا ورأينا عيننا، أما الغيب فعل هناك أحد دس له الصواع في رحله؟ هل هناك خطأ هو أحد الصواع طنه له مع اغراضه لم يتبيه أي هو ما قصد السرقة؟ لاعلم، هذا غيب، هذا يعلمه الله.

قال: **(وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِطِينَ)** أخوه عاقل ويتكلم بمنطق **(وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِطِينَ)** لا نحفظ الغيب، ولا نعلم عنه شيئاً إلا في الحدود التي وصلتنا وهي عالم الشهادة فقط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82)

[سورة يوسف]



الصادق لا يستدعي أدلة

الإنسان عندما يتكلّم وبخشي أن يكون كاذباً، أو يتكلّم كذباً، يحاول مباشرةً أن يستدعي الأدلة لصدق كلامه، الصادق لا يستدعي أدلة، يقول لك: حصل كذا، إذا قلت له: أين الدليل؟ يعتبر هذا إهانة له، يقول لك: أنت ابحث عن الدليل وحدك، لا تطالبني بالدليل، أنا شخص صادق، أقول لك: جدّ ذلك واتبه، لا يستجتمع أدلة لأنّه صادق، أما الذي كذب سابقاً الآن ولو صدق، هم الآن صادقون، لكنّهم لن يصدقهم فمجرد أن يقولوا له: **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)** أي هات شهوداً **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)** هل القرية تسأل؟ القرية في القرآن الكريم هي المدينة الكبيرة، نحن بمفهومنا اليوم عدد السكان إن كانوا عشرة ألف يسمونهم قرية، إذا كانوا أكثر فهي مدينة، يوجد قرية، وناحية، ومدينة حسب التقسيمات الإدارية، بالقرآن الكريم ربنا عز وجل يستخدم القرية، ويستخدم المدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

**وَجَاءَ مِنْ أَفْصَنِ الْمَدِيْنَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ** قَالَ يَا قَوْمَ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)

[سورة يس]

لكن القرية دائماً يستخدمها القرآن لجمع بشري كبير فيه أحلاط من الناس، يستخدم القرآن القرية، استخدام القرآن للقرية غير استخدامنا البشري. **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)** مع أن مصر كانت ربما أكبر وأضخم، أكبر من كنعان، لكن سماها قرية، لكن هل القرية تسأل؟ يذهب إلى القرية يسأل الجدران والبيوت أم من سيسأل؟ أهل القرية، هذا يسمى في اللغة العربية مجازاً، مجاز مرسل علاقته المحل.

(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا) القرية لا تسأل لكن أهل القرية تساؤلون، لماذا قال: **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ)** ما قال: وسائل أهل القرية؟ كل حدث يحدث في الكون يحتاج إلى فاعل يقوم به، وإلى مفعول به يقع عليه الفعل، يحتاج إلى فاعل يفعله، ومفعول به يقع فيه الفعل، ومكان يقع فيه الفعل، وسيب يؤدي إلى وقوع الفعل، فقوة تنهض بهذا الفعل، ستة أشياء، أي حدث يتم، إذا أكل شخص، أكل، هذا حدث، يحتاج إلى فاعل الذي قام بفعل الأكل، وإلى مفعول به الذي هو الطعام، ويحتاج إلى مكان، صار بالبيت أو بالمطعم، ويحتاج إلى زمان، صباحاً، ظهراً، مساءً، في الأول من أيلول، أو في العاشر من أيلول، أو في السادس من ديسمبر، يحتاج إلى سبب، لو لم يكن جائعاً لما أكل، ويحتاج إلى قوة تنهض بالفعل التي هي الإرادة، وإلى مطابقة، وعين، وهضم، لتنهض بالفعل، هذا ينطبق على أي حدث يحدث في الكون، وكل هذه الأمور تجري بالحدث، والزمان، والمكان، ومخلوقات الله، وتجري بقدرة الله جل جلاله، لكن عندما يكون أحد شيء بالحدث هو المكان، وعندما يكون أحد شيء بالحدث الزمان توجه السؤال للزمان، يكون أهم شيء بالحدث هو الفاعل نوجه إلى الفاعل، هنا أهم شيء بالحدث هو سرعة الحركة - إن صح التعبير - الذي وقعت فيه، صار هناك أساس، وانتهوا لوقع الأمر، وأنذن مؤذن بهم، فوجهنا الخطاب للقرية التي هي مكان الحدث، وليس إلى الفاعل الحدث، أو المفعول به، أو الشاهد على الحدث وجهنا السؤال.

أيضاً، **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ)** كان الخبر انتشر وطار حتى صارت جدران القرية تعرفه، عندما انتشر الخبر وذاع في القرية بأن بنiamin سرق، لأنه صار على رؤوس الأشهاد جلهم يحملون مسؤوليتهم، ويمضون بعدما يذرون أذن مؤذن بينهم، اجتمع الناس، فكان الخبر قد عُمِّ وانتشر حتى أصبحت القرية بدرجاتها وبيوتها تعرفه **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ أَيْضًا (وَالْعِيْرَ)** العبر لا تسأل، ما العبر؟ الجمال، النون، البغال، الحمير، هي واسطة النقل، أيضاً وجه السؤال لواسطة النقل، لأن الحدث جرى في الرجل التي كانت على تلك العبر والبعير، انظر إلى البلاغة القرآنية، فقال: **(وَاسْأَلِ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** إن حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد، اللام لام التوكيد **(لَصَادِقُونَ)** فاكدوا بمؤكدتين أنهم صادقون فيما يقولون، لأنهم عهد منهم الكذب فأصبحوا حاجة إلى كل تلك المؤكّدات لعل والدهم يصدقهم في دعواهم.

صبر يعقوب على مصابه بلا شكوى لأنهنبي وهو قدوة للبشر:

يَسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)

[سورة يوسف]

يعقوب عليه السلام، والدهم قال: **(بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ)** بل حرف إضراب يلغى ما قبله، أي كل ما سمعته منكم لن أصدقه **(بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ)**، الآن يعقوب بشيرته لن يصدقهم، هنا لا يوجد وحي، لأن الأمر حصل، بالنتيجة الأنبياء بشر، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

{ إنما أنا بشر أرضى كما يرضي البشر، وأغضب كما يغضب البشر }

[أخرجه مسلم]



جعل الله الأنبياء يشراً ليكونوا قدوة لكل البشر

والأنبياء جعلهم الله بشرًا من أجل أن يكونوا قدوة لكل البشر، لو جعلهم الله ملائكة لما كانوا قدوة لنا، لقال قائل منا: كيف نقتدي بهم؟ هم ملائكة ليس عندهم شهوات ونحن عندنا شهوات، ورغم أنه جعلهم بشرًا، بعض الناس اليوم يقول لك: يا أخي أنا لستنبيًا، ومن قال لك إنكنبي؟ لكن أنت مأمور بأوامر الشرع كما أمر الأنبياء، أنت مأمور بالصدق والأمانة، أنت لستنبيًا ولن تكوننبيًا، لكن أنت مؤمن، والمؤمن يقتدي بالأنبياء، فلم يجعلهم الله ملائكة وإنما جعلهم بشرًا، هنا بشيرته قال: **(قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)** لم تسألهم أنفسهم، الآن بهذا الحدث لم تسألهم أنفسهم، قبل ذلك لما جاؤوا على قميص يوسف:

يَسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَاءُوا عَلَيَ قَمِيصِهِ يَدْمِ كَذِيبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

[سورة يوسف]

قال الكلام نفسه **(قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)** لكن الآن بشيرته لأنه عهد منهم الكذب قال: **(قَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)** سولت: أي يسرت لكم الوصول إليه، مع أن هذا الأمر لا ترتضيه الفطرة السليمة، هذا **(سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)** أي يسرت أنفسكم قبول أمر لم يقبله صاحب الفطرة السليمة. **(بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ)** وكان يعقوب ما زال يتضرر ابتلاءات أخرى من الله، فيصر، ليس لي إلا المصير، وقال: **(فَصَبَرْ جَمِيلٌ)** وقلت لكم سابقاً إن القرآن الكريم قال:

يَسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاهْبِرُهُمْ هَجْرَا جَمِيلًا (10)

في القرآن وردت كلمة جميل ثلاث مرات، صير جميل، وصفح جميل، وهجر جميل، الصير الجميل؛ هو الصير الذي يكون بغير شكوى، والدليل بعد قليل، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أَسْكُنُ بَيْتِي وَحْرَبِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ (86)

[سورة يوسف]

أما الذي يقول لك: أنا صابر، وكلما جاءه وفد من الناس بحذفهم عن القصبة من الألف إلى الباء، هذا صابر لكن ليس صيراً جميلاً، الصير الجميل يكون صيراً بلا شكوى، تشكوا إلى الله، لا مانع إن أتاك إنسان مؤمن، أح، تفضي له ما بداخلك، الإنسان يحتاج إلى ذلك، لكن أقصد أنه يشكو دائمًا، الحال صعبة، كلما جاء لعنه شخص مؤمن، غير مؤمن، يشكو له ضيق الحال، يقول لك: أنا صابر، ما هذا الصير! هذا ليس صيراً جميلاً! عسى: فعل للرجاء، يرجو الله (أَنْ يَاتِيَنِي بِهِمْ حَبِيبًا) هما اثنان يوسف وبنiamين، فلماذا لم يقل: عسى الله أن يأتيني بهما جميعاً وإنما قال: (بِهِمْ؟) لأن الثالث كثيرون الذي قال: (فَلَنْ أُنْرَخَ الْأَرْضَنَ خَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي) صاروا ثلاثة، وبعقوب أبي، أي من كان من أبنائه، سواء من كان محسناً أو لم يكن فهو لأء أولاده، والإنسان لا يستغنى عن أولاده، بعقوب نبي مرب، فقال: (أَنْ يَاتِيَنِي بِهِمْ حَبِيبًا) أي يوسف، وبنiamين، وশمعون إن صحت الأسماء كما في التاريخ.

الله تعالى عليم حكيم بكل شيء

(إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)، هنا يصف الله عز وجل باسمين من أسمائه الحسنة وهما العليم والحكيم، وغالباً في القرآن الكريم ما يرتبط اسم العليم بالحكيم، جاء مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانَا وَإِنَّا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)

[سورة الشورى]

مرة واحدة، لكن معظم القرآن عليم حكيم، أو العليم الحكيم، لماذا يرتبط العلم بالحكمة؟ لأن العلم هو المعرفة بالشيء، بجميع جوانبه، والخبرة أعمق من العلم، الخبر يعلم مواطن الأمور، والعلم يعلم ظواهرها، والله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلِيمٌ حَبِيبٌ (34)

[سورة لقمان]



العلم يحتاج إلى حكمة الحكيم يضع الشيء في موضعه، الآن الإنسان قد يعلم لكنه لا يتصرف بحكمة فليس العلم دائمًا يؤدي إلى التصرف الحكيم، كم من إنسان علم متلاً أن أنه يرتكب مجرماً أو يصاحب أصحاب السوء، لكنه لم يحسن التصرف مع أنه بعد أن علم فأدى ذلك إلى أن يستمر الآرين في غيه وضلالة، لأن الآباء لم يكن حكماً في معالجة المعلومات التي وصلته، فالعلم لا يكفي، العلم يحتاج إلى حكمة من أجل أن تتصرف بناء على المعلومات بالشكل الصحيح، في الوقت الصحيح، في الزمان الصحيح، في المكان الصحيح.

فَاللَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ حَكِيمٌ، يَعْلَمُ الْآنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا الَّذِي حَصَلَ، يَعْلَمُ أَينَ يُوسُفَ، وَيَعْلَمُ أَينَ الثَّالِثَ شَمَعُونَ، وَيَعْلَمُ مَا الَّذِي جَرَى تَحْدِيدًا فِي الْقَصَّةِ الْأُولَى يَوْمَ (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيمِيهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) وَالثَّانِي يَوْمَ قَالُوا (إِنَّ ائْتَكَ سَرَقَ) كُلُّ ذَلِكَ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَكِيمٌ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَفْرُجُ عَنِي هَذَا الْهَمِ وَيَعْدِهِمْ إِلَيَّ، فَإِنَّا أَسْلَمْنَا لَهُ الْأَمْرَ، هُوَ حَكِيمٌ جَلَ جَلَالَهُ جَلَ جَلَالَهُ، الَّذِي يَعْلَمُ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي مَحْنَةٍ، وَمَحْتَنَةٍ شَدِيدَةٍ يَنْتَظِرُ فَرَجَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَكُنْ لَا يَنْتَظِرُهُ بِالْوَقْتِ الَّذِي يَرِيدُهُ، وَإِنَّمَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرِيدُهُ الْحَكِيمُ جَلَ جَلَالُهُ (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَطِيلٌ (84)

[سورة يوسف]

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ؛ أَعْرَضُ عَنْهُمْ، تَرْكُهُمْ لِأَهْمَمِ فَعْلَوْهُ، وَأَحْبَابًا الْخُلُوَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلُ مِنَ الْاِخْلَاطِ بِالنَّاسِ.

مكانة يوسف في قلب يعقوب لا تزيلاها المصائب الجديدة:

(وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) كُلُّ الْمَصَابِ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ يَوْسُفَ لَمْ يَعْلَمْ يَوْسُفُ لَمْ يَعْلَمْ يَوْسُفَ (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ) أَيْ يَوْسُفَ لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَعْلَمْ كُلُّ الْمَصَابِ الْجَدِيدَ، أَحِيَاً إِلَيْهِ الْمَصَابَ- نَسَأَ اللَّهَ الْأَزْمَنَ- فَيَنْسِي الْجَدِيدَ الْقَدِيمَ، لَكُنْ عِنْدَمَا تَكُونُ الْمَصَبَّةُ الْقَيْمِيَّةُ هِيَ أَسَاسُ الْمَصَابِ فَإِنَّهُ لَا يَنْسِي شَيْءًا إِلَيْهِ، وَكُمُ الْيَوْمَ مِنْ حَالَاتِ نَسَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَفْرُجَ عَنِ الْمَهْمُومِينَ مِنْ أَهْلَاتِ وَآبَاءِ فَقَدُوا أَوْلَادَهُمْ، أَوْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْهُمْ شَيْئًا، مَفْقُودُونَ، يَقُولُونَ لَكَ: لَا تَعْرِفُ هُلْ هُوَ حَيٌّ أَوْ مَيْتٌ، لَا يَنْسِي شَيْءًا ذَاكَ الْفَقْدَ، لَكُمْ رِبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ مِنَ الصَّبَرِ عَلَى قَدْرِ الْبَلَاءِ.

(وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى) يَا: أَدَاءُ نَدَاءَ، أَنَا أَرِيدُ أَنْ أَنْادِيَ مُحَمَّدًا أَقُولُ: يَا مُحَمَّدَ، هَنَا لَمَّا يَنْادِي عَلَى الْأَسْفَ؟ قَالَ: مِنْ شَدَّةِ الْأَسْفِ وَالْحُزْنِ عَلَى الْمَصَبَّةِ كَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ: يَا هُمْ تَعَالَ فَاحْسِنُ الْآنَ، أَيْ كَأَنَّهُ يَنْادِي الْهَمَ لِيَأْتِي إِلَيْهِ لِأَنَّ الْمَصَابَ جَلَ فَيُسْتَخَدَمُ أَدَاءُ النَّدَاءَ مَعَ الْأَسْفِ فَيَقُولُ: يَا لِلْمَصَبَّةِ، يَا لِلْحُزْنِ (يَا أَسَفَى).



الحزن الشديد من أساسيات اصوات العين

(وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ) الْعَيْنُ فِيهَا بِيَاضٍ، وَفِيهَا سُوَادٌ، الْمَرْأَةُ الْحُورَاءُ اخْتَلَطَتْ عَنْهَا سُوَادُ الْعَيْنِ بِبِيَاضِهَا، مِنْ جَمَالِ الْعَيْنِ، عَنْدَمَا يَبْيَضُ سُوَادُ الْعَيْنِ، أَيْ قَدْ تَكُونُ مِثْلُ الْمَاءِ الْأَبْيَاضِ، الْيَوْمَ يَقُولُ عَنْهَا: الْمَاءُ الْبَيْضاءُ، بَعْدَ الْقَدْمَ بِالْعَمَرِ، وَالْيَوْمَ يَشْتَبَهُ الْعَلَمُ مِنْ أَحَدِ أَسَاسِ اِبْصَارِ الْعَيْنِ هُوَ الْحُزْنُ الشَّدِيدُ، وَالْبَكَاءُ الْمُسْتَمِرُ، رِبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نَعْمَهُ دَمَوعُ الْعَيْنِ، لَأَنَّ دَمَوعَ الْعَيْنِ هُوَ مَنْ تَعْقِمُ الْعَيْنَ، الدَّمَوعُ كَأَنَّهُ يَعْقِمُ الْعَيْنَ، هِيَ قَطْرَةٌ مَعْقِمَةٌ لِلْعَيْنِ بِشَكْلِ مُسْتَمِرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَفْرَزُ دَمْوَعًا بِشَكْلِ دائِمٍ، وَإِلَّا لَتَنْقِمُ عَيْنَهُ، عَنْدَمَا يَرْمِشُ بَعْقَمَ الْعَيْنِ كَلَّاهَا بِالْدَمَوعِ، لَكُنْ عَنْدَمَا يَحْزَنُ جَعْلُ اللَّهِ تَفْرِيغًا لِلْأَسْيِ بَدْمَعِ الْعَيْنِ، لَكُنْ عَنْدَمَا يَكْتُرُ مِنَ الْحُزْنِ، وَالْأَسْفِ، وَالْبَكَاءُ تَبْيَضُ عَيْنَهُ مِنَ الْحُزْنِ، الْيَوْمَ يَوْجِدُ عَلَاجٌ لَهَا وَمِنْ كَرَامَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى اللَّهِ تَقْدِمُ الْأَطْبَابُ، الْيَوْمُ عَمْلِيَّةٌ بِرِيعِ سَاعَةٍ وَهُوَ صَاحِبُ تَخْدِيرٍ بِسَبِيلِ يَسْجُونِ الْعَدْسَةِ الْمُبَيَّضَةِ وَيَدْخُلُونَ عَدْسَةً جَدِيدَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَلْغِي النَّظَارَةَ، وَيَبْصِعُ نَظَرَهُ عَشَرَ عَلَى عَشَرَ، هَذَا مِنْ كَرَامَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى اللَّهِ.

(وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَطِيلٌ) إِذَا لَا مَانِعٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْزَنَ، وَأَنْ تَدْمُعَ عَيْنَهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

{ ما كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ }

[حدثه السيوطي]

القلب والعين رحمة، إذا تأثر قلبك بهذه رحمة، إذا دمعت عينك ولو على فراق أخ أو حبيب بهذه رحمة، لأن سيدنا محمدًا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما فقد ابنه، قيل له: أتبكي يا رسول الله؟ قال:

{ إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا }

[صححه الالباني]

أما اللسان عندما ينطق، ويقول عند المصيبة: لماذا حصل ذلك معي وأنا يجب ألا أصاب بذلك؟ ولماذا اختار الله فلاناً ولم يأخذ فلاناً والعياذ بالله؟ هذا من الشيطان، أو تتحرك يده، لطم الخدوود، وشق الجبوب كما كانت تفعل النائحات، نسأل الله السلامة، أما العين فحزنها محمود، ولا شيء فيه.

(وَأَيْضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْخَرْنِ فَهُوَ كَطِيلٌ) كظمت قربة الماء، كظمتها؛ أي أغلقتها بإحكام، فالإنسان عندما يصبح كطيمًا كأنه قد امتلأ حزنًا، وهذا الحزن في داخله لا يخرج له، لكن من رحمة الله أن الدموع مخرج من مخارج الحزن، الإنسان أحياناً يكفي فيستريح من عنة المصيبة التي ألمت به نسأل الله السلامة، ونطلب منه دائمًا أن يبعد عنا المصائب، (وَأَيْضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْخَرْنِ فَهُوَ كَطِيلٌ).

حزن يعقوب وبٰ حزنه الشديد إلى خالقه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى تَدْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85)

[سورة يوسف]



الحرض هو المشارف على الملاك (أي ما تزال، أي تكرر **تَدْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً**) حرضاً؛ أي مشارفاً، الحرض هو المشارف على الهلاك، أي وصل لمرحلة قبل الهلاك بقليل (**أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**) تموت من شدة حزنك على يوسف، والحقيقة أن هذا الرد لا ينبع، إذا كان إنسان حزينًا ليس من الحكمة أن تقول له: ما هذا الموضوع؟ لا تتعاطف معه، تقول له: والله المصاب كبير، ولكنه تحقق، تخف عنه بأن تقول له: تعال لنخرج، انزل للعمل، خف عنك، لكن لا تهون عليه الحدث نفسه، لأن الحدث كبير بالنسبة له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أَسْكُو سَيِّدِي وَخُرْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ (86)

[سورة يوسف]

إنما أداء حضر، أي لن (**أَسْكُو سَيِّدِي وَخُرْنِي إِلَى اللَّهِ**) البث؛ ألا تسمعون بالبث الإذاعي، والبث التلفزيوني، الانبعاث، البث، بث؛ أي ينشر، فهذا الشيء البث الذي في داخله، الذي امتلأ به ولا يجوز أن يشهه للناس، لن يشهه للناس، وإنما سيشهه لخالقه، وسيشكو حزنه إلى خالقه (**إِلَى اللَّهِ وَأَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ**) هنا النبوة، البشرية مرت معنا، هنا النبوة، النبوة: (**وَأَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ**) لأن هناك وجهاً، يعقوب عليه السلام يعلم أن يوسف سيعود، الموضوع عنده محسوم وبعد من الله، في الوقت الذي يريده الله، وبرؤيا رأها يوسف ستتحقق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَجَزَرُوا لَهُ سُجَّدًا >

وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايِّي مِنْ قَبْلُ فَذَكَرَهَا رَبِّي حَسَّاً وَقَدْ أَخْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ وَخَاءِ يُكُمْ مِنَ الْتَّدْوِيَّةِ وَمِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَعَ السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنِ إِخْرَجِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لَقَدْ يَسَّأُ إِلَهٌ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

[سورة يوسف]

وبعقوب الآن لا يماري في عودة يوسف، لكنه حزين على الفراق، لكنه يعلم أن يوسف ما زال حياً، (**وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**).

الفرق بين التحسس والتجسس:

يَا بَنِيَّ اذْهُبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبَيَّنُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)

[سورة يوسف]

يعقوب يعلم أن يوسف حي، والدليل قال لهم: (**إِذْهُبُوا فَتَحَسَّسُوا**) يوسف لم يأكله الذئب، تحسسوا من الحسن، وجمع حسن حواس، والحواس المشهورة خمس حواس، وهناك حواس أخرى يدرسوها اليوم، لكن المشهورة هي الحواس الخمسة، هي السمع، والنظر، والشم، واللذوق، واللمس، التحسس هو أن تعمل حواسك من أجل أن تصل إلى المعلومة، تشتعل حواسك كلها، تسمع، ترى، تشم، أن تصل إلى المعلومة فتحسس، يوجد تحسس وتجسس التجسس يكون فيه تتبع الأخبار السيئة فيقال: جاسوس، ومتجمس، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: 'إِنَّا كُمْ وَالظَّنَّ، إِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ،' >

وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسِّسُوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا عِبَادُ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمْرَكُمْ،

الMuslim أخوه المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التقوى هاهنا، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره - بخسب أمرئ من الشَّرِّ

أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله. إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم {

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذمي ومالك]

أي لا ينبغي لك أن تتبع الأخبار السيئة عن الناس ولا الأخبار الحسنة، هنا التحسس طبعاً يعني آخر، هنا تحسسوا أي ابخروا بجميع حواسكم للوصول إلى المفقود وهذا مطلوب ولا حرج فيه، لكن تجسس الناس أي تتبع أخبارهم، هل رفعوا له راتبه؟ هل تحسست أموره؟ هذا تجسس، التحسس وقع في مصيبة، انفصل من عمله، تجسس (**وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسِّسُوا**) هنا: (**يَا بَنِيَّ اذْهُبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ**) لماذا لم يذكر الثالث هنا؟ الثالث غير مفقود، الثالث يتنتظر الفرج حتى يعود، مكانه معروف فلا يحتاج إلى تحسس.

المؤمن بعيد عن اليأس:



لا ينقطع الأمل عند المؤمن لأن الله موجود

(من يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْنَسُوا) اليأس انقطاع الأمل، اليأس انقطاع الأمل من الشيء، أنت تقول: يئست من هدابة فلان، أي أنا أرى أنه لن يهتدى، يئست من هذه التجارة أرى أن هذه التجارة لن تحقق لي الربح، يئست من هذا العمل، إلى آخره، فالياس هو انقطاع الأمل، المؤمن يئس؟ المفترض لا، لا يئس إلا من صرف في إيمانه، لا أقول من عدم إيمان، لا، قد يكون مؤمناً لكن يضعف إيمانه فيياس، لكن إذا كانت فيه قوة إيمان إن اشتدت عليه الكروب والخطوب لا ييأس، ما السبب؟ نحن عندنا أسباب، وعندنا مسبب الأسباب، فالمؤمن عندما تنقطع الأسباب الأرضية، مهما انقطعت الأسباب الأرضية لا ينقطع الأمل عنده لأن الله موجود، وهو مسبب الأسباب، أما البعيد عن الله، بالنسبة له كل شيء متعلق بالأسباب الأرضية، إذا قال الطبيب: لا يوجد علاج ييأس، إذا بحث عن زوجة مدة شهرين ولم يجد ييأس، إذا بحث عن عمل وذهب عام، وذهب عام ولم يجد عملاً ييأس، لأنه مرتبط فقط بالأسباب الأرضية، والأسباب الأرضية انتهت بالنسبة له، يقول لك: أنا ما بقى باب إلا وطرقته، لم يبق باب لم أطرقه فانا يئس، أما المؤمن فمانزال عنده باب، وهذا الباب لا يره الناس، وهذا باب الله، فلا ييأس، وهذا معنى (ولَا تَيْنَسُوا) لأنه مستجيل أن ييأس المؤمن بهما تكاثرت الخطوب، هو يعلم أن هناك باباً يمكن أن يفتح بأي لحظة، والأعمق من ذلك يعلم أن الله عز وجل إن لم يفتح له هذا الباب فإنه لحكمة قد يجهلها، ولخير لا يعلمه، ويتنظره عند الله شيء، فالامل موجود، أي أنت مهما اشتدت الخطوب عليك عندك أمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<أَقْمَنْ وَعْدُنَا وَعْدًا حَسِنًا فَهُوَ لَاقِيه/> كمْ مَتَّعْنَا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ من المُحْصَرِينَ (61)

[سورة القصص]

فهو يتذكر موعد الله مهما انقطعت الأسباب من يديه في الدنيا فمسبب الأسباب موجود، والأمل موجود، والآخرة موجودة، فالياس ليس موجوداً عند المؤمن بمعنى اليأس المطلق، هو ينزعج، يخاف لحد معين، أي يصل إلى مرحلة يكاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<حَتَّىٰ إِذَا اسْبَيْسَنَ الرُّسُلُ وَطَلُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُدِّبُوا جَاءُهُمْ تَصْرِنَا قُنْجِيَ مَنْ شَاءَ وَلَا يُرْدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُغْرِبِينَ (110)

[سورة يوسف]

أي الأوضاع صارت صعبة جداً لا ييأس.

اقتران اليأس بالكفر:

(وَلَا تَيْنَسُوا مِنْ رَفِيقِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَتَنَسَّنُ مِنْ رَفِيقِ اللَّهِ) عندنا روح، وعندنا روح ، الرُّوح بضم الراء تطلق على.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبَسَأَلْوَنَكَ عَنِ الرُّوحِ فُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أَوْتَنَمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

[سورة الإسراء]

الروح هذه القوة التي يضعها الله في الجسد فتحوله إلى نشاط وحركة، وذهب وإياب، وإذا نزعها عاد كثرة لحم، وعظم هامدة لا حراك بها، من أمر الله، يلقي الروح وينزع الروح جل جلاله، ما هي؟ لا يعرف أحد كنهها، وحتى اليوم الكنه غير معروف، هناك شيء يسحب لا أحد يراه، يخرج ويرد الجسم وتذهب الروح، هذه الروح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَرَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِينُ (193)

[سورة الشعراء]

جبريل عليه السلام، أما الرُّوح فشيء آخر، الرُّوح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَرِينَ (88) قَرْفُعٌ وَرِبْخَانٌ وَجَنَّةٌ تَعِيمٌ (89)

[سورة الواقعة]

الرُّوح من الرائحة، إذا كنا جالسين بمكان حار جداً، صيف حار جداً، ولا يوجد هواء نهائياً، وجاءته نسمة عليلة، عندما جاءت يقول لك: تنشطنا، وهذه الريح حرقت الأزهار فانطلقت منها الرائحة الجميلة هذه هي الرُّوح.



نفحات الله تأتي بغير مقدمات

(إِنَّهُ لَا يَبْيَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) أي نفحات الله تأتي بغير مقدمات فجأةً وأنت في شدة صمتك وهمك تأتي روح الله بسکينة في قلبك، بفرج من عنده، بحالة لم تكن تتوقعها، يفاجئك الله بما لم يكن يخطر لك على بال، هذه روح الله.

(إِنَّهُ لَا يَبْيَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) قرن اليأس بالكفر والعياذ بالله لأن اليائس من روح الله يقول لك: لم يعد هناك أمل، الأمة انتهت، جميعنا انتهينا، لن تقوم لنا قائمة، كأنه يكفر بالله، كأنه يقول: الله غير موجود، والله هو مسبب الأسباب، وهو الذي يفعلها في الوقت الذي يريد، وبعطلها في الوقت الذي يريد، (وَلَا يَبْيَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْيَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ).

والحمد لله رب العالمين